المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع عشر بعد المئة

١ فبراير سنة ١٩١٩ — ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨

الروحانية وتطورها

عند البدائيين وفي العصر القديم

— ٤ —

(تتمة البحث)

عالج ارسطوطاليس علم النفس منتحياً الوجهة الأحيائية (Biological)، فجعل النفس أو الروح — (psuchy) يوخي في اليونانية — من نصيب كل الأشياء المادية التي لها قدرات مختلفة على الحركة الذاتية والنمو، أي لكل المتعضيات الحية. وكان مرماه من ذلك أن يفرق بين ما يتعضب بالحياة وبين اللاعضويات أو العالم اللاعضوي أي الذي لا حياة فيه، فقال بأن ما فيه حياة «حيوان» [1] أي حي أو «ذو نفس» أو «ذو روح». أما كلمة «يوخي» اليونانية كما فهمها أرسطوطاليس فأقرب ترجمة عربية لها هي «الحياة»: Life أو «المبدأ الحيوي»، وأبعد ما نكون فهماً للمعنى الذي عناه ارسطو اذا ترجمناها «بروح» أو «نفس». فالحياة أو «المبدأ الحيوي» عند المعلم الأول هو الذي يميز بين المتعضي الحي وبين الأشياء اللاعضوية، وينطوي تحت هذا

(١) وإن الدار الآخرة لهي الحيوان (قرآن كريم)

المعنى كل الخصيصات التي للأحياء ، بما فيها القدرات العقلية . ولقد نكون أكثر افصاحاً عن المعنى الذي عناه ارسطوطاليس اذا قلنا إنه قصد « بالروح » أو « النفس » مجموع الوظائف الحيويّة .

من مجموع القدرات الحيويّة أو بالحري « القوى النفسيّة » للمتعضيات ، استطاع ارسطوطاليس أن يفرق بين خمس صور مختلفة :

(١) مجموع القوّة النباتية : كالإستمراء والنموّ والتوالد
(٢) الشهوة والرغبة أو الدافع
(٣) الإحساس
(٤) الحركة الذاتية في خلال المكان
(٥) التفكير العقلي .

لا يشارك النبات الحيوان في شيء من ذلك إلا في الأولى دون الباقيات . أما الحيوان فله الأربعة الأول ، لأن اختصاصه بالوسطيات الثلاث يتضمن الأولى استتباعاً . أما الانسان فيختص بهؤلاء جميعاً ، ويتفرد بقوة العقل .

ليست هذه القدرات وظائف تقوم بها « نفوس » مختلفة ، ولا هي مجالي مختلفة لأجزاء النفس . ذلك بأن النفس « وحدة » وكل كائن حي إنما هو توليف من نفس وجسم . ومع هذا فان النفس والجسم ليسا شيئين مستقلين ، لأنه يتعذر على أحدهما أن يبقى بدون صاحبه ، وأنه لا يمكن الفصل بينهما إلا في « الفكر » والنفس لا يمكن اعتبارها شيئاً ماديًّا ، ولكن يتعذر انفصالها عن المادّة . أما الجسم فهو « السبب المادي » للكائن المتعضي ، في حين أن النفس هي « السبب الفاعلي » بحكم أنها تحدث حركاته . وهي فوق ذلك « السبب الصوريّ » للمتعضي بحكم أنها هي التي تحدد صورة الفرد العضوي . وفوق هذا وذاك هي « السبب الغائي » لأنها هي الغرض الذي من أجله يوجد الجسم .

* * *

هذه هي الخطوط الرئيسة في مذهب أرسطوطاليس . أما ما يتفرع عنها كانفصالية النفس والجسد ، أو علاقة النفس بالحياة والعقل ، فتلك تفاصيل لا نعرض لها هنا ، لأنها

بعيدة عما نرمي إليه من تلخيص الفكرة في الروح أو النفس .

ومن نحن البحوث التي سقنا فيها القول في مذهب الروحانية ، نجد أن هنالك فكرة شاملة ثابتة في التفريق بين النفس والجسم أو بين الروح والمادة ، تلك الفكرة التي ثبتها أفلاطون في تقاليد الدنيا الثقافية ، وان هذه الفكرة لم تضعف ولم تهن في زمن من الأزمان . ولكن العصر الذهبي لهذه الفكرة ونعني به العصر الذي ظهر فيه سقراط وأفلاطون وارسطوطاليس ، قد عقبه عصر غلبت فيه ظواهر الشك فذاعت فيه المذاهب الشكية وبرزت الآراء المادية التي حاولت أن تقضي على الثنائية التي قال بها أفلاطون . فإن ابيقور وقد اعتنق مذهب ديمقريطس في الذرات (الجواهر الفردة) قد بشر بأن الروح عبارة عن مادة لطيفة تنتشر في جميع أبعاد الجسم ، وهي أشبه ما تكون بالهواء المشبع بقليل من الدفء ؛ وقال بأنها من أجزاء الجسم ، يستطيع الجسم بها أن يشارك في الاحساس وانها تندثر باندثار الجسم . فاذا حدث الموت تناثرت ذرات الروح في الهواء . وفرق أبيقور بين مظهرين من مظاهر النفس أو الروح . الأول المظهر اللاعقلي أو القوة الحيوية التي تتحكم في كل أجزاء الجسم ، والمظهر العقلي ومستقره الصدر وهو عضو الفهم والارادة . وفي هذا جاراه لوكريشيوس .

ولقد عقب على ذلك الرواقيون فكان لهم مذهب جديد يقول بأن النفس أو الروح لها أساس مادي يتألف من الهواء والنار ، وان هذا الأساس هو الذي يحكم في الجسم نماء وشعوراً وتفكيراً .

* * *

وعلى هذا ظل الفكر الانساني متراوحاً بين مادية ابيقور والشكية وبين المذهب الرواقي ، حتى ظهور الأفلاطونية الجديدة في الاسكندرية والمذاهب النصرانية ؛ فكانت الأفلاطونية الجديدة مثالاً لما تطور اليه الفكر الأغريقي ، والنصرانية مثالاً لما تطورت إليه المذاهب العبرانية .

اسماعيل مظهر